لَوْ كُنْتَ حَشْوَ قَمِيصِي فَوْقَ نُمْرُقِهَا
سَمِعْتَ لِلْجِنِّ فِي غِيطَانِهَا زَجَلَا[١]
حَتَّى وَصَلْتُ بِنَفْسٍ مَاتَ أَكْثَرُهَا
وَلَيْتَنِي عِشْتُ مِنْهَا بِالَّذِي فَضَلَا[٢]
أَرْجُو نَدَاكَ وَلا أَخْشَى ٱلْمِطَالَ بِهِ
يَا مَنْ إِذَا وَهَبَ الدُّنْيَا فَقَدْ بَخِلَا[٣]

العباد في رجل

وقال في صباه ارتجالاً وقد أهدى له عبيد اللّه بن خلكان من خراسان هدية فيها سمك من سكر ولوز في عسل:

[المنسرح]

قَدْ شَغَلَ النَّاسَ كَثْرَةُ ٱلْأَمَلِ
وَأَنْتَ بِالْمَكْرُمَاتِ فِي شُغُلِ[٤]
تَمَثَّلُوا حَاتِماً وَلَوْ عَقَلُوا
لَكُنْتَ فِي ٱلْجُودِ غَايَةَ الْمَثَلِ[٥]

---

(١) حشو قميصي: في مكاني. النمرق: الوسادة يتكئ عليها المسافر. الغيطان، الواحد غائط: المطمئن من الأرض، الزجل: الجلبة والضجّة. يُخاطب الشاعر ممدوحه مصوّراً ما بذله من مجهود حتى مَثُلَ بين يديه، فقد قطع المفاوز القفراء، وموسيقى الجنّ المرعبة تصكّ الآذان.

(٢) أخيراً وصل الشاعر إلى ديار الممدوح، وهو على آخر رمق، فقد تلف نصفه، وما بقي منه فهو يتمنّى أن يحيا به ليقضيَ حقّ الممدوح من الكرامة.

(٣) الندى: العطاء. المِطال: التسوّف. يُعلن الشاعر عن سبب مثوله بين يدي ممدوحه؛ إنه يطلب العطاء، وممدوحه غني كريم، فلو أعطاه الشيء الكثير فقد بخل.

(٤) و (٥) يعيش الناس، وفي نفوسهم آمال عِراض يحلمون بتحقيقها دون السعي في سبيلها لتكون حقيقة وواقعاً سوى اللجوء إليك، والممدوح دائم السعي وراء تحقيق أمانيه وأحلامه العِراض. وهؤلاء اتّخذوا حاتماً الطائيّ نموذجاً أعلى للكرم، ولو نظروا نظرة العقلاء لتمثّلوا بك لعظيم كرمك وكثرة جودك.

أَهْـلاً وَسَـهْـلاً بِـمـا بَـعَـثْـتَ بِـهِ
إِيـهـاً أَبَـا قَـاسِـمٍ وَبـالـرُّسُـلِ (١)
هَـدِيَّـةٌ مَـا رَأَيْـتُ مُـهْـدِيَـهَـا
إِلَّا رَأَيْـتُ الْـعِـبَـادَ فِـي رَجُـلِ (٢)
أَقَـلُّ مَـا فِـي أَقَـلِّـهَـا سَـمَـكٌ
يَـسْـبـحُ فِـي بِـرْكَـةٍ مِـنَ الْـعَـسَـلِ (٣)
كَـيْـفَ أُكَـافِـي عَـلَـى أَجَـلِّ يَـدٍ
مَـنْ لَا يَـرَى أَنَّـهَـا يَـدٌ قِـبَـلِـي (٤)

بر خفيف ثقيل

وقال لصديق له في صباه:

[الكامل]

أَحْـبَـبْـتُ بِـرَّكَ إِذْ أَرَدْتَ رَحِـيـلَا
فَـوَجَـدْتُ أَكْـثَـرَ مَـا وَجَـدْتُ قَـلِـيـلَا (٥)
وَعَـلِـمْـتُ أَنَّـكَ فِـي الـمَـكَـارِمِ رَاغِـبٌ
صَـبٌّ إِلَـيْـهَـا بُـكْـرَةً وَأَصِـيـلَا (٦)

---

(١) و (٢) رحّب الشاعر برسول الممدوح مسروراً بهديته، وقد غمره كرمه وإحسانه، وهو من جمع في ذاته فضائل الناس جميعاً فكان كاملاً في كلّ شيء.

(٣) يروى «يلعب» بدلاً من «يسبح». قصد بالبركة: الوعاء الذي يحتوي العسل: إنها هديّة عظيمة أقلّ ما اشتملت عليه السمك.

(٤) اليد: كناية عن الكرم. يودّ الشاعر أن يردّ على هذه المكرمة التي لا يعدها مُسديها ذات قيمة بمدحه والثناء عليه.

(٥) أحبّ الشاعر أن يُكرم صديقه، وقد أزمع على الرحيل، ولم يجد لديه ما يفيه حقّه من التكريم لعظيم قدره.

(٦) الصبّ: المشتاق. البكرة: الغداة. الأصيل: زمن ما قبل الغروب. يُخاطب الشاعر صديقه بأنه يعلم رغبته بتكريمه صباح مساء.